

مقاربات مفاهيمية نظرية في سوسيولوجيا التغير الاجتماعي

د. عبدالعاطي الفقيه

جامعة عمر المختار - ليبيا

د. الشيخ أحمد الجيلاني

جامعة عمر المختار - ليبيا

ملخص:

نحاول من خلال هذه الورقة البحثية في أدبيات مفهوم التغير الاجتماعي الإحاطة بالقدر المستطاع ببعض الأسس النظرية للمفهوم وإجراء مقاربات مفاهيمية له باعتباره يشكل مبحثاً رئيسياً من مباحث علم الاجتماع، وتعتمد الدراسة على مقارنة نظرية غايتها ضبط وتحديد مفهوم التغير الاجتماعي كما هو مطروح في الأدبيات و الدراسات السوسيولوجية، كما تهدف هذا المقاربة إلى أبرز الإسهامات النظرية التي قاربت موضوع التغير الاجتماعي، وذلك بغية تقديم إطار نظري رصين يساعد على فهم ودراسة ظواهر التغير الاجتماعي، وتناولت هذه الورقة تعريفات التغير الاجتماعي اللغوية والاصطلاحية والفلسفية والسوسيولوجية، وآليات التغير الاجتماعي والمفاهيم ذات الصلة، والمبادئ الأساسية للتغير وعوامله وخصائصه، ومراحله، وأهميته ومظاهره، وعوائقه، وأخيراً نظريات التغير الاجتماعي.

Abstract: In this paper, we attempt to understand as much as possible the theoretical foundations of the concept and to conceptualize it as a major study of sociology. The study relies on a theoretical approach aimed at controlling and defining the concept of social change as presented in the literature and sociological studies, And this approach aims to highlight the theoretical contributions that approached the subject of social change, in order to provide a coherent theoretical framework that helps to understand and study the phenomena of social change, and this paper addressed the definitions of social and linguistic change and the standard Philosophical, sociological, and mechanisms of social change and related concepts, the basic principles of change and its factors and characteristics, and stages, and its importance and its manifestations, and drawbacks, and finally the theories of social change.

الكلمات المفتاحية: التغير الاجتماعي، مقاربات مفاهيمية، سوسيولوجيا التغير الاجتماعي.

مقدمة:

التغير الاجتماعي سمة لصيقة بحياة الإنسان وأفكاره والتجمعات البشرية التي أقامها، فبدأ التغير هو أحد المبادئ الأساسية التي ينهض عليها الوجود الاجتماعي بجوانبه الطبيعية وغير الطبيعية، فالتغير في ذاته ظاهرة طبيعية تخضع لها جميع مظاهر الكون وشؤون الحياة المختلفة، وظاهرة التغير أوضح ما تكون في كل مناحي الحياة الاجتماعية، وهذا ما أدى ببعض المفكرين إلى القول بأنه ليس هناك مجتمعات ولكن الموجود تفاعلات وعمليات اجتماعية في تغير دائم وتفاعل مستمر، ومن الطبيعي أن يتأمل الفلاسفة والمفكرون ظواهر التغير الطبيعي والبيولوجي والاجتماعي من حولهم، وأن يؤسسوا نظريات وافتراضات عامة بشأنها، ونحاول فيما يلي أن نتبع وعبر المراحل التاريخية المختلفة أهم ما وصل إليه الفلاسفة والعلماء حول مفهوم التغير الاجتماعي:

أولاً: التعريف اللغوي للتغير. كما جاء في لسان العرب " تغير الشيء عن حاله: تحوّل. وغيره: حوّلّه وبدّلّه، كأنه جعله غير ما كان. وفي التنزيل العزيز: (ذلك بأن الله لم يكُ مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم) ⁽¹⁾. قال ثعلب: حتى يبدلوا ما أمرهم الله... إلى أن قال: وغير الدهر: أحواله المتغيرة ⁽²⁾. (هو مفهوم مشتق من الفعل الثلاثي (غير) بمعنى بدل الشيء، أو انتقل من حال إلى آخر.

ثانياً: التعريف الاصطلاحي للتغير.

إنّ اصطلاح change يعني: انتقال أي شيء أو ظاهرة من حالة إلى حالة أخرى، أو هو ذلك التعديل الذي يتم في طبيعة أو مضمون أو هيكل شيء ما أما مصطلح التغير الاجتماعي Change mint Social فإنه يشير إلى تلك العملية المستمرة والتي تمتد على فترات زمنية متعاقبة يتم خلالها حدوث اختلافات أو تعديلات معينة في العلاقات الإنسانية أو في المؤسسات أو التنظيمات أو في الأدوار الاجتماعية ⁽³⁾ ويعني "التغير" الاختلاف ما بين الحالة الجديدة والحالة القديمة أو اختلاف الشيء عما كان عليه خلال فترة محددة من الزمن.

1 - سورة الأنفال، الآية 53.

2 - ابن منظور، ج2، ص 1035.

3 - محمد عمر الطنوبي، التغير الاجتماعي، منشأة المعارف بالإسكندرية، الإسكندرية 1996.

وحيثما تضاف كلمة الاجتماعي، التي تعني ما يتعلق بالمجتمع فيصبح التغير الاجتماعي: التغير الذي يحدث داخل المجتمع أو التحول أو التبدل الذي يطرأ على البناء الاجتماعي خلال فترة من الزمن⁽¹⁾.

ويعني التغير الاجتماعي دراسة التحول أو التعديل الذي يتم في طبيعة ومضمون وتركيب الجماعات والنظام وكذا في العلاقات بين الأفراد والجماعات وكذا تلك التغيرات التي تحدث في المؤسسات أو التنظيمات أو في الأدوار الاجتماعية⁽²⁾.

ثالثاً: التعريف الفلسفي للتغير الاجتماعي.

اعتبر الفلاسفة التغير حقيقة الوجود أي أن كل موجود لا بد أن يتغير وأن التغير لا الثبات هو الدال على الوجود الموجود وعبر عن هذه الفكرة المفكر اليوناني (هيرقليطس 540-475 ق.م) في مقولته: "إن الفرد لا يستطيع أن يقول أنني أعبر النهر الواحد مرتين ذلك على اعتبار أن ذرات الماء التي لامست جسمه في المرة الأولى غيرها في المرة الثانية، كما أن الشخص نفسه يكون قد تغير⁽³⁾". كما ذهب إلى القول بأن التغير قانون الوجود والاستقرار موت وعدم⁽⁴⁾. وكذلك أرسطو الذي اعتبر التغير ظاهرة "تعم على الموجودات كافة وفي الأوقات كلها"⁽⁵⁾

وكانت نظرة العلماء للتغير حتى القرن الثامن عشر نظرة تشاؤمية "Pessimism"، مبنية على الخوف من المستقبل، وأن حالة المجتمعات في القديم أفضل من الحالة الراهنة والمستقبلية، في حين أخذ العلماء ينظرون بعد ذلك التاريخ نظرة تفاؤلية "Optimisms" معتبرة حالة المجتمعات الراهنة أفضل من سابقتها، وأن العصر الذهبي أمامنا وليس خلفنا على حد تعبير (سان سيمون Saint Simon)⁽⁶⁾.

ومع بداية القرن الثامن عشر ازداد الاهتمام الكبير بموضوع التغير الاجتماعي، وذلك بفتح الأبواب أمام عصر التنوير الأوروبي الذي أجمع مفكره أن الإنسان قادر على تغير ظروفه

1 - محمد الدقس، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1987.

2 - ذهبية وموسى، المسنين في مركز العجزة، دراسة ميدانية في كل من مركز دالي إبراهيم وديار الرحمة ببئر خادم، رسالة ماجستير، جامعة البليدة، 2003.

3 - إبراهيم العسل، الأسس النظرية والأساليب التطبيقية في علم الاجتماع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1997.

4 - سعيد فالح الغامدي، البناء القبلي والتحضر في المملكة العربية السعودية، جدة: دار الشروق، 1981، ص 107.

5 - حمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، الإنجليزية فرنسي عربي، مكتبة لبنان، بيروت، 1982.

6 - محمد عاطف غيث، التغير الاجتماعي والتخطيط، دار المعارف ط2 القاهرة، 1966.

الروحية والمادية فأصبح التغير اليوم من أهم المسائل التي تشغل الفكر الاجتماعي الحديث فأخذت الجهود تتجه نحو التغير من أجل تنمية هادفة⁽¹⁾.

رابعاً: التعريف السوسيولوجي للتغير الاجتماعي.

يشير التغير إلى الاختلاف الكمي أو الكيفي ما بين الحالة الجديدة والحالة القديمة أو اختلاف الشيء عما كان عليه، في خلال فترة محددة من الزمن. وعندما تضاف كلمة الاجتماعي يصبح " التغير الاجتماعي " Social Change هو: التغير أو التحول الذي يطرأ على أي من جوانب المجتمع خلال فترة زمنية محددة والمجتمع Society هو مجموعة مقعدة من العلاقات الاجتماعية لا يبقى كما هو، أي في حالة استقرار أو ثبات، ولكنه في حالة دائمة من الحركة والتطور المستمر شأنه في ذلك شأن الكائنات الحية تماماً⁽²⁾ إلا أنه ليست كل التغيرات التي تطرأ على المجتمع هي تغيرات اجتماعية. وهنا نجد (جي روشي) يحدد أربع صفات للتغير الاجتماعي هي:

- 1- التغير الاجتماعي ظاهرة عامة لذلك يغير مسار حياة فئات واسعة من المجتمع.
 - 2- التغير الاجتماعي كل تحول يصيب البناء الاجتماعي.
 - 3- يكون التغير الاجتماعي محددًا بفترة زمنية معينة.
 - 4- يتصف التغير الاجتماعي بالديمومة والاستمرارية.
- كما ويشير عاطف غيث إلى التغير الاجتماعي بأنه: "التغيرات التي تحدث في التنظيم الاجتماعي أي في بناء المجتمع ووظائفه"⁽³⁾، ويرى أن التغيرات الاجتماعية في صورتها:
- 1- التغير في القيم الاجتماعية، تلك القيم التي تؤثر بطريقة مباشرة في مضمون الأدوار الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي، كالانتقال من النمط الإقطاعي إلى التجاري والصناعي.
 - 2- التغير في النظام الاجتماعي أي في البناءات المحددة مثل صورة التنظيم ومضمون الأدوار، أي في المراكز والأدوار الاجتماعية، كالانتقال من نظام تعدد الزوجات إلى نظام وحدانية الزوج والزوجة.
 - 3- التغير في مراكز الأشخاص، ويحدث ذلك بحكم التقدم في السن أو نتيجة الموت⁽¹⁾.

1 - حنان محمد عبدالمجيد، التغير الاجتماعي في الفكر الإسلامي الحديث، المعهد العالي للفكر الإسلامي، 2011، ص 32.

2 - Robert A.Nisbet, Social change and history, oxford university press, London, 1969.

3 - السيد عبد العاطي السيد، المجتمع والثقافة والشخصية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ب.ت.

وعرف (أحمد زكي بدوي) التغير على أنه: (كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في بنائه أو في وظائفه خلال فترة زمنية معينة، والتغير الاجتماعي على هذا النحو ينصب على تغير يقع في التركيب السكاني للمجتمع أو في بنائه الطبقي، أو نظمه الاجتماعية، أو في أنماط العلاقات الاجتماعية أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد والتي تحدد مكاناتهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها)⁽²⁾.

كما يعرف (صلاح العبد) التغير الاجتماعي بأنه: (ظاهرة طبيعية تخضع لها نواميس الكون وشؤون الحياة من خلال التفاعلات والعلاقات والتبادلات الاجتماعية المستمرة والتي تفضي إلى تغير دائم)⁽³⁾.

أما (روجرز Rogers) فيعرفه بأنه: (العملية التي يحدث من خلالها تغير وتبديل البنيان والوظيفة الاجتماعية للنظم الاجتماعية). وقد يحدث ذلك من خلال المخترعات والمبتكرات الجديدة، ومنها ما يحدث بسبب الفيضانات، الحروب والثروات الداخلية، كما تكون عملية التغير الاجتماعي مخططة أو غير مخططة، كما تكون عملية التغير الاجتماعي مخططة أو غير مخططة وكما يذكرها Roger يكون مصدرها إما خارجي أو داخلي⁽⁴⁾.

هذا ويعتبر كل من (جيرث Garth وملز Mils) أن التغير الاجتماعي هو: (التحول الذي يطرأ على النظم الاجتماعية، وقواعد الضبط الاجتماعي التي يتضمنها البناء الاجتماعي في مدة معينة من الزمن)⁽⁵⁾.

ويعرف (جي روشي) التغير بأنه: (كل تحول في البناء الاجتماعي يلاحظ في الزمن لا يكون مؤقتاً سريع الزوال لدى فئات واسعة من المجتمع ويغير مسار حياتها)⁽⁶⁾، وللتغير صفات عند (جي روشي) هي:

1- التغير الاجتماعي ظاهرة عامة توجد عند أفراد عديدين وتؤثر في أسلوب حياتهم وأفكارهم.

1 - معن خليل العمر، التغير الاجتماعي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2004.

2 - أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، بيروت 1982.

3 - أحمد النكلاوي، التغير والبناء الاجتماعي، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة 1968.

4 - محمد علي محمد وآخرون، دراسات في التغير الاجتماعي، دار الكتب الجامعية الإسكندرية، 1974.

5 - Mitchell G. Duncan: A dictionary of sociology, Lontdlege & Kegan paul. London 1968.

6 - صلاح البيومي، التنشئة والشخصية للطفل بين الواقع والمستقبل، دار المعارف، الإسكندرية، ب.ت.

2- التغير الاجتماعي يصيب البناء الاجتماعي، أي يؤثر في هيكل النظام الاجتماعي في الكل أو الجزء.

3- يكون التغير الاجتماعي محددًا بالزمن أي يبدأ بفترة زمنية وينتهي بفترة زمنية معينة. أما (إميل دوركايم Emil Durkheim) فقد انطلق، في تفسيره لظواهر التغير، من التأكيد على ضرورة التمييز بين الأسباب والوظائف، (ويعتبر بأن الأسباب التي توجد الظواهر مستقلة عن الغايات التي تخدمها. فوجود الأشياء لا يمكن أن يُردَّ إلى حاجتنا إليها بل إلى أسباب من نوع آخر)⁽¹⁾، ووفق هذا المنظور، كان (إميل دوركايم) يعتقد أنه يمكن تفسير التغير الاجتماعي بالرجوع إلى العامل الديموغرافي، ويؤكد في كتابه "تقسيم العمل الاجتماعي" على أن الانتقال من التضامن الآلي الذي يميز المجتمع التقليدي، إلى التضامن العضوي الذي يميز المجتمع الحديث، رهين بعامل رئيسي هو ارتفاع الكثافة الديموغرافية في المجتمع.

وفي نفس التوجه الوظيفي اعتبر عالم الاجتماع (تالكوت بارسونز Talcott Parsons) أنه لتفسير حالة التغير ينبغي الرجوع إلى حالة عدم التغير أي فترة الثبات والتوازن. ويشير إلى ذلك بقوله: (لا يمكن أن تظهر مواصفات التغير إذا لم يكن هناك خلفية نسبية لعدم التغير التي يمكن ربطها به)⁽²⁾، ويضيف قائلاً: (إن بنية النظام الاجتماعي وبيئته، يجب أن تُميزا عن سيروية التقدم التي تتم داخل النظام وعن التغير المتبادل بين النظام وبيئته)⁽³⁾.

في حين يذهب أصحاب نظرية الفعل الاجتماعي إلى القول بأن الأفعال تتمركز حول مختلف الفاعلين الاجتماعيين، وبالتالي فالتغير يكون نتيجة قيام فاعلين في فترات معينة بمجموعة من الأنشطة التي تساهم في إحداث التغير الاجتماعي. كما تقف نظرية الفعل عند مستويين أساسيين من التغير الاجتماعي: الأول يعتبر أن التغير يقع على مستوى المجتمع العام الكلي، والثاني يرى بأن التغير يحدث على مستوى الجزئي. وهنا يرى (ماكس فيبر Max Weber) (بأن التغير الاجتماعي

1 - المختار الهراس، الوظيفة والمجتمع، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، مطبعة النجاح، 1995، ص 84.

2 - تالكوت بارسونز، إعداد أميتاي ازيوني، ترجمة محمد أحمد حنونة، النظريات الوظيفية للتغير "ضمن التغير الاجتماعي، مصادره، نماذجه وتناججه، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،

1984، ص 132.

3 - المرجع السابق، ص 133.

يمكن أن يحدث لأسباب عديدة، وبلغة أكثر دقة فإن التغير الاجتماعي متعدد العوامل وفقا لتحليل ماكس فيبر⁽¹⁾.

بينما نجد (هربرت سبنسر Herbert Spenser) يفسر تغير المجتمعات انطلاقا من تصور وظيفي للمجتمع، حيث يرى أنه: (لا يمكن أن يتم التغير في البناء الاجتماعي دون حدوث تغيرات في الوظائف والأدوار نظرا لأن كثيرا من تغيرات البنية في المجتمع تبرزها التغيرات الوظيفية أكثر مما تمكن رؤيتها مباشرة)⁽²⁾. ففي هذا الاتجاه بلور سبنسر نظريته الاجتماعية حول التغير أو التطور الاجتماعي، واعتبر أن المجتمع يتطور من حالة المجتمع البسيط إلى المجتمع المركب. بينما تنطلق النظرية الماركسية في تفسيرها للتغير الاجتماعي من اعتبار أن العامل الاقتصادي هو الموجه للحياة الاجتماعية. ومعنى ذلك أن المجتمع يتأسس على أساس اقتصادي يكمن في علاقات الإنتاج وأنماط الإنتاج السائدة في كل مرحلة تاريخية. وفي هذا المضمار يقول (كارل ماركس Karl Marx): (إن شكل الإنتاج في الحياة المادية هو الذي يبت بالصفة العامة لعمليات الحياة الاجتماعية والسياسية والروحية)⁽³⁾. ومن ثمة فإن التغير الاجتماعي يحدث بفعل تغير في التركيب المادي والاقتصادي للمجتمع. بحيث أنه: (لما يتغير الأساس الاقتصادي تحدث تغيرات في البنية العليا الهائلة بكاملها وبنفس السرعة تقريبا)⁽⁴⁾.

أما (وليام أوجبرن William Ogbern) فيركز أساسا على العوامل الثقافية والتكنولوجية، ويفترض أن الجانب المادي من الثقافة أسبق في التغير، ومن ثم فهو عامل أول في كل التغيرات التي تحدث في البناء الاجتماعي⁽⁵⁾.

1 - مصطفى خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، 2002، ص 56.

2 - هربرت سبنسر، إعداد أميتاي ايزوني، ترجمة محمد أحمد حنونة، نحو المجتمعات ضمن التغير الاجتماعي مصادره، نماذجه ونتائجه، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1984، ص 26.

3 - كارل ماركس، إعداد أميتاي ايزوني، ترجمة محمد أحمد حنونة، موجز في المادية التاريخية ضمن التغير الاجتماعي مصادره، نماذجه ونتائجه، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ص 63.

4 - المرجع السابق، ص 63.

5 - الحبيب معمري، التغير الاجتماعي ورهانات العولمة، منشورات دار ما بعد الحداثة، فاس، ج 1، 2010، ص 99.

خامساً: آليات التغير الاجتماعي.

أ- الاختراع الاكتشاف: ويكون في ابتكار أشياء جديدة لم تكن موجودة من قبل، كاختراع الكهرباء والسيارة، وكذلك الاكتشافات التي تعني معرفة أشياء كانت موجودة أصلاً، كالاكتشاف أمريكا.

ب- الذكاء والبيئة الثقافية: أي أن الذكاء يؤدي إلى الاختراع، ويرى علماء النفس أن الذكاء يكون موروثاً ومكتسباً، ولهذا لن يكتب النجاح للفرد الذكي ما لم تتوافر لديه البيئة الثقافية التي تساعد على الاكتشاف أو الاختراع.

ت- الانتشار: إن الاختراعات لن يكتب لها النجاح ما لم تنتشر بين أفراد كثيرين في المجتمع حتى تشيع وتعم، وتؤدي إلى عملية التغير، وأن القبول يؤدي إلى سعة الانتشار⁽¹⁾.

سادساً: مفاهيم ذات صلة بمفهوم التغير.

مفهوم التغير الاجتماعي لا يمكن فهمه بمعزل عن بقية المفاهيم ذات الصلة، ومن تلك المفاهيم ما يلي:

1- التقدم الاجتماعي: تاريخياً تعتبر فكرة (التقدم) تعود إلى عصور قديمة جداً، ولم تصبح موضوعاً للبحث إلا في القرن (17م) مع ظهور الثورة الصناعية، وتجمع المعرفة الإنسانية وتراكمها وتجمع تعريفات التقدم على أنه تطور في الجوانب المادية والفكرية في المجتمع ويحمل معنى قيمياً ومعياريًا⁽²⁾.

وأستخدم مصطلح التقدم الاجتماعي Social Progress في البداية باعتباره مرادفاً لمصطلح التغير الاجتماعي. وقد اتضح ذلك في كتابات علماء أمثال: (أوجست كونت وكوندراسيه وتيرجو) وغيرهم، والتقدم يعني حركة تسير نحو الأهداف المنشودة والمقبولة، أو الأهداف الموضوعية التي تنشأ خيراً أو تنتهي إلى نفع وينطوي التقدم على مراحل ارتقائية، أي أن كل مرحلة تكون أفضل من سابقتها. وهو يشير إلى انتقال المجتمع إلى مرحلة أفضل من حيث الثقافة والقدرة الإنتاجية والسيطرة على الطبيعة فتعني عملية التقدم اتجاه واحد نحو الأمام، ونحو تحقيق أهداف مرسومة، أي فعل واع مخطط، هذا وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم التقدم هو مفهوم (نسي) أي

1 - حمدي عبدالحيد أحمد مصطفى، موقع اجتماعي شامل، آليات التغير الاجتماعي، متاح على الرابط التالي:

<http://hamdisocio.blogspot.com> متاح على الرابط التالي: تاريخ الزيارة 2018/12/8

2 - المرجع السابق، على الرابط نفسه.

أنه يختلف من مجتمع لآخر ومن ثقافة إلى أخرى. فما يعتبر تقدماً اجتماعياً في مجتمع قد يكون تخلفاً في مجتمع آخر، خاصة فيما يتعلق بالجانب المعنوي من التغير الاجتماعي. ففكرة التقدم تتغير بتبدل الأحوال والأزمنة، وهي تحمل معنىً قيمياً، وقد بين (ويل ديورنت) أن الإنسانية خلال تقدمها الارتقائي مرت بمراحل هي: النطق، النار، استئناس الحيوان، الزراعة، التنظيم الاجتماعي، الأخلاق، الآلات والصناعة، العلوم، التربية.... الخ

2. التطور الاجتماعي: لقد استعمل مفهوم التطور الاجتماعي Social Evolution بشكل واسع في العلوم الاجتماعية، وفي علم الاجتماع بشكل خاص، بعد أن وضع "دارون" كتابه المعروف "بأصل الأنواع" عام 1859م، مبيناً فيه نظريته التطورية البيولوجية للكائنات الحية، ومفهوم التطور الاجتماعي يعني النمو أو التقدم المتدرج البطيء (دون طفرات) الذي يؤدي إلى تحولات منتظمة ومتلاحقة، تمر بمراحل مختلفة ترتبط فيها كل مرحلة لاحقة بالمرحلة السابقة التي تمهد لها وتعد ضرورية لحدوثها، ويعرفه معجم علم الاجتماع "بالعملية التي بموجبها تحقق المجتمعات الإنسانية نمواً مستمراً مروراً بمراحل متلاحقة مترابطة" وهكذا فالتطور هو الانتقال التدريجي كميّاً أو كميّاً وفقاً لمراحل محددة ومتوقعة مسبقاً، أي من مرحلة محددة المعالم إلى مرحلة تالية كالانتقال مثلاً من طور البداوة إلى الطور الريفي ثم إلى الطور الحضري ولكن التغير هو مجرد التحول الذي يحدث في الحياة الاجتماعية، وما يرتبط به من علاقات وتفاعلات أياً كانت درجته أو مداه أو شكله وبذلك فإن التطور يعني تغيراً، ولكن التغير قد لا يكون تطوراً، بمعنى أن التطور إنما يعبر عن حالة التغير إلى أشكال مرحلية متوقعة وممكنة وسواء كان الحكم عليها موجباً أم سالباً وأبرز مثال على ذلك هو التطور الذي يحدث في مراحل عمر الإنسان، وتطور حالة المريض والمعرفة وغير ذلك⁽¹⁾.

3. النمو الاجتماعي: هو عملية النضج التدريجي والمستمر للكائن وزيادة حجمه الكلي أو أجزائه في سلسلة من المراحل الطبيعية، كما يشير إلى نوع معين من التغير وهو التغير الكمي، ومن أمثلة التغيرات الكمية التي يعبر عنها مفهوم النمو التغيرات التي تطرأ على حجم السكان وكثافتهم، والتغيرات في أعداد المواليد والوفيات، ومعدلات الخصوبة وكذلك التغيرات في حجم الدخل القومي ونصيب الفرد منه، والتغيرات في أنواع الإنتاج المختلفة كالتغير في الإنتاج الزراعي أو الصناعي، وتشترك

1 - منتديات الوزير، التطور الاجتماعي، متاح على الرابط التالي: <http://vb1.alwazer.com/t71423.html> تاريخ الزيارة 2018/12/9.

كل هذه التغيرات في أنه يمكن قياسها كمياً، ولذلك فإن مفهوم النمو أكثر انتشاراً في الدراسات السكانية والاقتصادية، ويرتبط مفهوم النمو بمفهوم التغير ارتباطاً وثيقاً، ذلك أن التغير الاجتماعي له جوانب عديدة، ومن هذه الجوانب، الجوانب الكمية التي يمكن أن تقام من خلالها معدلات النمو التي تعتبر أحد المؤشرات الهامة للتغير الاجتماعي، ويختلف مصطلح النمو عن التنمية في كونه تلقائياً، بينما التنمية عملية إرادية مخططة، ومن الناحية النظرية فإن مفهوم النمو يقترب من مفهوم التطور، ولكنه لا يتطابق معه، وفي مجال الدراسات الاجتماعية تعددت النظرة إلى النمو الاجتماعي، لأن النمو الاجتماعي أكثر تعقيداً من النمو العضوي، فلا نستطيع أن نرد أي ظاهرة معينة إلى نواتها الأصلية كما هو الحال في نمو الكائن العضوي، إلا في عمليتين اجتماعيتين كما يقول: (بوتومور) هما: نمو المعرفة، ونمو سيطرة الإنسان على البيئة الطبيعية، كما يبدو في الكفاءة التكنولوجية والاقتصادية.

إن مصطلح النمو لا يعبر إلا عن جزء من التغير الذي يشير إلى الأفضل (التقدم) مع المحافظة على جوهر البناء بشكل عام، أما الجزء الآخر من التغير فلا يتضمن ذلك الجزء الذي يشير إلى التخلف الاجتماعي.

4. التنمية الاجتماعية: وهي الجهود التي تبذل لإحداث سلسلة من التغيرات الوظيفية، والهيكلية اللازمة لنمو المجتمع، وذلك بزيادة قدرة أفراده على استغلال الطاقة المتاحة إلى أقصى بعد ممكن لتحقيق أكبر قدر من الحرية والرفاهية لهؤلاء الأفراد بأسرع من معدل النمو الطبيعي، كما أنها تشير إلى عملية ارتقاء تدريجي كارتقاء نمو الطفل أو الشخصية⁽¹⁾.

تعريف حسن سعفران: التنمية الاجتماعية هي الجهود المنظمة التي تبذل وفق تخطيط مرسوم للتنسيق بين الإمكانيات البشرية والمادية المتاحة في وسط اجتماعي معين، بقصد تحقيق مستويات أعلى للدخل القومي والدخول الفردية، ومستويات أعلى للمعيشة والحياة الاجتماعية في شتى مناحيها كالتعليم والصحة والأسرة والشباب، ومن ثم الوصول إلى تحقيق أعلى مستوى ممكن من الرفاهية الاجتماعية، وهي تعني التحريك العلمي المخطط للعمليات الاجتماعية والاقتصادية من خلال إيديولوجية معينة، ولا يمكن الفصل بين التنمية الاجتماعية والتنمية الاقتصادية لنظراً للترابط الوثيق بينهما، ويرتبط مفهوم التنمية بمفهوم التحديث والذي يعني التحول من نمط التقليدية

1 - أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، بيروت 1982، ص 382.

إلى نمط التكنولوجيا⁽¹⁾. ومن الواضح أن مفهوم التنمية ومفهوم التحديث يمكن أن يكون لهما علاقة وثيقة بعملية التغير، فالتحديث والتنمية يحدثان تغيراً اجتماعياً، ولكنهما ليسا بديلين لمفهوم التغير، لأنهما يعبران عن حالة خاصة تتعلق بتحول المجتمعات التقليدية إلى مجتمعات نامية أو حديثة، أما التغير فهو يشتمل على مفهوم أشمل من مفهوم التنمية وله أبعاد أكثر اتساعاً.

العلاقة بين التنمية الاجتماعية والتغير الاجتماعي.

• إن مفهوم التنمية الاجتماعية هو أقرب المفاهيم للتغير الاجتماعي مقارنة بمفاهيم التقدم والنمو والتطور.

• إن المفهوم (الحديث) للتغير الاجتماعي يتطابق ومفهوم التنمية الاجتماعية بالرجوع إلى مضمون المفهومين.

• أما المفهوم المطلق للتغير الاجتماعي فيعني التحول أو التبدل الذي يطرأ على البناء الاجتماعي متضمناً تبدل النظام الاجتماعي والأدوار وقواعد الضبط الاجتماعي (إيجاباً وسلباً).

• إن التنمية الاجتماعية (إيجابية) دائماً، في حين أن التغير الاجتماعي قد يكون تخلفاً⁽²⁾.

5. **مفهوم التغير الثقافي:** التغير الثقافي هو عبارة عن التحول الذي يتناول كل التغيرات التي تحدث في أي فرع من فروع الثقافة، بما في ذلك الفنون والعلوم والفلسفة والتكنيك، كما يشمل صور وقوانين التغير الاجتماعي نفسه، كما يشمل فوق كل ذلك كل التغيرات التي تحدث في أشكال وقواعد النظام الاجتماعي:

أ- التغير الثقافي يقوم على الحركة المفاجئة السريعة.

ب- التغير الثقافي يعتمد على رأس المال الأجنبي، أي أنه ينجم عن الاتصال الخارجي.

ت- التغير الثقافي ينتج بصورة أساسية عن الاختراع أو التجديد سواء أكان مادياً أم اجتماعياً

ث- التغير الثقافي هو الذي يقتصر على التغيرات التي تحدث في ثقافة المجتمع⁽³⁾.

1 - حسن سغفان، اتجاهات التنمية في العالم العربي، مطبعة التقدم، الجزائر، 1983، ص 224.

2 - حمدي عبدالحمد أحمد مصطفى، موقع اجتماعي شامل، آليات التغير الاجتماعي، متاح على الرابط التالي:

<http://hamdisocio.blogspot.com> متاح على الرابط التالي: تاريخ الزيارة 2018/12/8

3 - عبدالله الرشيدان، علم اجتماع التربية، دار الشروق، عمان، الأردن، 1999، ص 258.

وكذلك نجد أن التغير الثقافي يتضمن مجموعة من المفاهيم التي تحل عليه ومنها الثقاف، والتفكك، والانحراف، والتطور، والتغير التدريجي، والإبداع، والتكامل، والنقل، وإعادة الإحياء، وإعادة التفسير.

عوامل التغير الثقافي:

أ- الاكتشاف: يعبر عن الاكتشافات بمحصلة الجهد البشري المشترك في الإعلان المبدع عن جانب من جوانب الحقيقة القائمة بالفعل، ومن محصلات الجهد البشري المبدع كالكشف الرافعة مثلاً والدورة الدموية، ولا يصبح الاكتشاف عاملاً محدثاً للتغير الاجتماعي إلا بعد استخدامه من قبل المجتمع.

ب- الاختراع: لا يقتصر على الجانب المادي من الثقافة بل يتضمن الجانب غير المادي، ويرى (وليم أوجبرن) أن الاختراع مفتاح التغير الثقافي، وأن الثقافة ككل وليدة الاختراع.

ت- الانتشار: يشير للعمليات التي تنتج تماثلاً ثقافياً بين مجتمعات متباينة، كما أن معظم التغيرات الثقافية التي تحدث في جميع المجتمعات الإنسانية تتطور من خلال الانتشار، وتتم عملية الانتشار بين مجتمع وآخر فقط، وإنما قد تحدث داخل المجتمع الواحد بانتشار الخصائص الثقافية من جماعة لأخرى.

ث- وسائل الاتصال الإعلامي: إن تطور وسائل الاتصال الجماهيري ووسائل النقل، قد أثر بشكل واضح في تطور الثقافة وانتشارها وفي اتجاهات علماء الاجتماع في دراسة التغير الثقافي، إذ قامت المحاولات العلمية المبكرة في رؤيتها للانتشار الثقافي على فكرة المراكز الثقافية وانتشار الثقافة منها إلى مناطق أخرى، وأن يأخذ الانتشار شكل دوائر، أي أن الثقافة تنتشر في دوائر منتظمة بمعدل ثابت السرعة وفي وسط متجانس⁽¹⁾.

المبادئ الأساسية للتغير الثقافي:

أ- كثير من المميزات الأساسية مثل الديمقراطية، العلم، والمستوى المرتفع للحياة هي أمور جديدة بالنسبة للإنسان لم يسبق وأن اختبرها، ولذا فإنه غالباً ما يجد صعوبة في معرفة ماذا يفعل بها.

ب- التغير الثقافي حتمي، ولا توجد أية ثقافة لا تظهر فيها دلائل التغير.

ت- العوامل المؤدية للاستقرار والعوامل المؤدية للتغير هي مظاهر موروثية للثقافة.

1 - دلال ملحق استيعابية، مرجع سابق، ص 85 - 87.

- ث- تتغير الثقافات بمجموعات متباينة بعضها يتغير بسرعة والآخر ببطء.
- ج- تتغير الثقافة بإضافة سمات لها أو فقدان سمات منها أو تغير في سمات موجودة.
- ح- تنشأ عناصر ثقافية جديدة في ثقافة معينة ويسمى ذلك بالاختراع أو تأتي من ثقافات أخرى ويسمى اقتباس.
- خ- يشمل الاختراع بصورة حتمية استعمال العناصر الثقافية الموجودة ولكن بتركيب جديد.
- د- جميع المجتمعات باستثناء بعض المجتمعات البدائية، وجدت راحتها (أشبع رغباتها) عن طريق الاقتباس أكثر من واسطة الاختراعات الخاصة بها.
- ذ- معظم الاختراعات تمثل تعديلات أو تغييرات صغيرة في تفصيلات الثقافة، بينما الطابع الأساسي للمجتمع يبقى دون تغير جوهري.
- ر- إن تأثير الاختراعات بعيد المدى حتى أنه يتعذر التنبؤ بما يتغير من مجموع ثقافة ما بسبب شيء جديد.
- ز- إن العامل الرئيسي في انسجام مهارة جديدة أو فكر جديد مع ثقافة قائمة هو كيفية تلاؤم هذا الشيء داخل النظام القائم.
- س- إن معظم عمليات التغير الثقافي، سواء كانت بالاستعارة أو التمدن أو الانتشار أو الثقيف أو فرض الثقافة، جميعها تنبع من عمل الإنسان، ولكن البيئة بين آن وآخر تلعب دوراً رئيسياً في تغيير الثقافة⁽¹⁾.
- علاقة التغير الثقافي بالتغير الاجتماعي: التغير الثقافي؛ هو ما يطرأ من تبدل في جانبي الثقافة سواء أكان مادياً أم معنوياً. إنه تغير يحدث في جميع نواحي المجتمع. وعلى هذا يصبح التغير الاجتماعي جزءاً من التغير الثقافي بالإضافة إلى ذلك، الإطار المادي، فليست جميع التغيرات الثقافية هي تغيرات اجتماعية، بينما العكس هو جائز. فكل ما هو تغير اجتماعي يعد تغيراً ثقافياً، وليست جميع التغيرات الثقافية تقع في دائرة التغير الاجتماعي، على الرغم من أنها قد تتراكم وتصبح مع الوقت سبباً أو علة للتغير⁽²⁾.

1 - دلال ملحس استيتية، مرجع سابق، ص 110-113.

2 - عبد الغني عماد ديناميات التغير الثقافي والاجتماعي، وإشكالياته، متاح على الرابط التالي: <https://alhiwar2012.wordpress.com> تاريخ الزيارة 2018/12/21.

ثامناً: عوامل التغير الاجتماعي.

- 1- التكنولوجيا حيث إن الاختراعات الجديدة في عصرنا أدت إلى تطور الإنسان ورقيه، أو عزله عن المجتمع، لأن التكنولوجيا سيف ذو حدين لها إيجابيات وسلبيات ⁽¹⁾.
 - 2- عامل المكان، وهي متغيرات تؤثر في التغير الاجتماعي، مثال: حجم السكان وكثافتهم، ومعدل الوفيات والمواليد، والهجرة الخارجية والداخلية ⁽²⁾.
 - 3- الهجرة ومشاكلها في انتقال الفرد من مجتمعه إلى مجتمع آخر، بسبب كسب لقمة العيش، أو الاضطهاد السياسي، أو الاحتلال، أو الحريات المعدومة.
 - 4- السلوك الإنساني ودوافعه اختلاف الطبقات الاجتماعية عوامل جغرافيا، أي المكان الذي يقطن فيه الإنسان، مثال: الموقع، والمناخ، ومستوى المعيشة في المجتمع، وغيرها. عوامل بيئية، المتمثلة في الزلازل والبراكين، وما تحدثه من تغيرات.
 - 5- عوامل فكرية والمعتقدات السائدة، التي تؤدي دور فعال في التغير الاجتماعي، وما يفكر به المجتمع، وما تطلعاته.
 - 6- عوامل سياسية، المتمثلة بالحروب والثورات، والزعماء والرؤساء، فهي أحد العوامل التي تؤدي إلى التغير الاجتماعي ⁽³⁾.
 - 7- الاتصال الحضاري والثقافي بين المجتمعات، فالتواصل بين المجتمعات يؤثر في نقل الثقافة والحضارة.
 - 8- نوعية السكان، وتركيبتهم، وأجناسهم.
 - 9- عوامل دينية، متمثلة في ديانة السكان، وتنوع دياناتهم ⁽⁴⁾.
- ### تاسعاً: مراحل التغير الاجتماعي.
- 1- مرحلة الإحساس: وهي تتمثل في أول سماع أو معرفة بالموضوع الجديد.
 - 2- مرحلة الاهتمام: وهي مرحلة تجميع المعلومات حول الموضوع الجديد بغرض تحديد درجة فائدته.

1 - مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، الدار القومية للطباعة، القاهرة، ص 207.

2 - قيس النوري، أفاق التغير الاجتماعي النظرية والتنمية، مطابع التعليم العالي، بغداد، 1990، ص 117.

3 - عبدالرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1983، ص 18.

4 - حدي عبدالحمد أحمد مصطفى، موقع اجتماعي شامل، مرجع سابق.

- 3- مرحلة التقييم: اختبار المعلومات المستقاة وتفسيرها وفي الظروف السائدة، ومدى ملائمتها.
- 4- مرحلة المحاولة: اختبار الفكرة ودراسة كيفية تطبيقها.
- 5- مرحلة التبني: التسليم بالموضوع الجديد واعتماده، ليأخذ مكانه في النمط السائد⁽¹⁾.
- 6- مرحلة التحدي: وهي نقطة البداية في كل عملية تغير، ويتم من قبل المجتمع التقليدي، وكلما زاد تمسك المجتمع بالمحور القيمي كلما زادت مرحلة التحدي، فهذه المرحلة نختلف شدتها ومدتها باختلاف المجتمعات باختلاف ثقافتها وإيديولوجياتها، فالمجتمعات الزراعية قد تكون أكثر تحدي من المجتمعات الصناعية في قبولها لبعض التغيرات.
- 7- مرحلة الانتقال: حيث تتم هذه العملية بالتدرج، وذلك لبقاء الصراع المشتد بين القديم والحديث، وتعتبر هذه المرحلة من أخطر المراحل على الأفكار، وذلك لأن هذه الأفكار قد تحوي ما يتعارض وقيم الفرد والمجتمع، وبالتالي قد تنحرف إلى أفكار هدامة تطول سائر المجتمع.
- 8- مرحلة التحويل: وهي المرحلة التي يتم فيها إعادة التنظيم الجذري للبناء المتغير من جميع جوانبه.
- 9- مرحلة تطبيق الأفكار الجديدة المرحلة المتطورة: (وهي المرحلة أو الحالة الجديدة التي آل إليها التغير، وهي مرحلة تجسيد الأفكار على الواقع وإقامة التنظيم على أسس جديدة نابعة من عملية التغير⁽²⁾).

عاشرا: خصائص التغير الاجتماعي: خصائص التغير حسب رأي ولبرت مور:

1. السرعة هي السمة الغالبة على التغير الاجتماعي المعاصر.
 2. الترابط المتغير زماناً ومكاناً بحيث يتابع حدوثه ولا يكون متقطعاً.
 3. النوع المخطط نتيجة لزيادة تدخل وتحكم الدول المعاصرة.
 4. الوسائل التكنولوجية التي تكسب خبرات جديدة للفرد والمجتمع⁽³⁾.
- الحادي عشر: أهمية التغير الاجتماعي: إذا كان العالم يضم ثلاثة تجمعات نسقية أساسية وهي العالم الأول والثاني والثالث، فإن هذه التجمعات تنفصل على أساس قدر التقدم الناتج عن قدر امتلاكها للمعرفة العقلانية والكفاءة التكنولوجية التي تيسر هذا التقدم وتنتجه، فإلى جانب أهمية

1 - بوعطيط سفيان، التغير الاجتماعي في الجزائر وتأثيراته على القيم، متاح على الرابط التالي: <https://sites.google.com/site/socioalger> تاريخ الزيارة 2018/12/8.

2 - يوسف عناد زامل، سوسيولوجيا التغير في ماهية التغير واتجاهاته الفكرية، كلية الآداب، جامعة واسط، ص8.

3 - لطيفة طبال، التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم، متاح على الرابط: <http://www.moqatel.com> تاريخ الزيارة 2018/12/9.

التغيرات التنموية التي قد تخضع لها بلاد العالم الأول والثاني، فإن بلاد العالم الثالث عادة ما تخضع لتغيرات جذرية تعمل على إلغاء الهوة التي تفصل بينها وبين بلاد العالم الأول والثاني، ومن تحررها من قيود التبعية والاستغلال التي تمارسها المجتمعات المتقدمة. فما هو التغير الاجتماعي بين تلك التغيرات التي تحدث داخل المجتمع؟ للإجابة على هذا السؤال: نجد للتغير الاجتماعي عند "جي روشي Guy Rocher" أربع صفات وهي:

1. التغير الاجتماعي ظاهرة عامة ومنتشرة لدى فئات واسعة من المجتمع بحيث يغير مسار حياتها .
2. التغير الاجتماعي كل تحول يصيب البناء الاجتماعي .
3. يكون التغير الاجتماعي محددًا بفترة زمنية معينة .
4. يتصف التغير الاجتماعي بالديمومة والاستمرارية، أي ليس مؤقتاً سريع الزوال حيث يصعب فهمه⁽¹⁾.

الثاني عشر: مظاهر التغير الاجتماعي: إن عملية التغير الاجتماعي تحمل في طياتها مظاهر إيجابية وسلبية ترافق التغير وفيما يلي عرض موجز لتلك المظاهر:

1- مظاهر التغير الاجتماعي الإيجابية:

- أ- تقدم العلم في مجالات واسعة أدى إلى رفاهية الفرد والمجتمع.
- ب- ازدياد وتحسن وسائل الاتصال واعتماد الأفراد بعضهم على بعض.
- ت- ظهور مفاهيم جديدة للأفكار القديمة مثل الحرب النفسية.
- ث- تغير نظام الأسرة ووظائفها وأشكالها ودور المرأة فيها.
- ج- الهجرة من القرى إلى الأرياف إلى المدن.
- ح- ظهور قوة للطبقة العاملة.
- خ- جذب العمال والعاملات من المنازل إلى المراكز الصناعية.
- د- تغير في الرعاية الاجتماعية من الأسرة إلى المؤسسات الاجتماعية.
- ذ- النمو الحضاري والتغير العمراني المصاحب للزيادة السكانية⁽²⁾.

1 - شائم بن لافي الهمزاني، التغير الاجتماعي، منطقة حائل، دراسة علمية غير منشورة، 1990، متاح على الرابط التالي: <https://www.marefa.org> تاريخ الزيارة

2018/12/10.

2 - قباري محمد إسماعيل، علم الاجتماع الإنمائي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، الإسكندرية، 1971، ص149.

2- مظاهر التغير الاجتماعي السلبية:

- أ- التركيز على الجانب المادي وإهمال الجانب المعنوي.
- ب- الميل إلى الأنانية الفردية.
- ت- انتشار اللامبالاة.
- ث- العبث والتمرد اللاواعي.
- ج- خلق انحرافات سلوكية واجتماعية داخل نطاق المجتمع.
- ح- زيادة الضغوط النفسية نتيجة التقدم التكنولوجي.
- خ- التغير في بناء الأسرة والزواج وتنظيمها.

الثالث عشر: عوائق التغير الاجتماعي

1- العوائق الاجتماعية وتشمل:

- العزلة.
- المحافظة على القديم.
- عدم التجانس داخل المجتمع.
- سيادة روح اللامبالاة وانعدام الابتكار.

2- العوائق الاقتصادية وتشمل:

- قلة الموارد الاقتصادية.
- ركود حركة الاختراع والتجديد.
- عدم احترام الحقوق التعاقدية للمخترعين مما يضعف الوداع إلى الاختراع.

3- العوائق البيئية وتشمل:

وتشمل التضاريس الطبيعية التي تعيق اتصال المجتمع مع الخارج وهذا يقلل من قدرته على الإفادة من ثقافات المجتمعات الأخرى نتيجة عزله وفقدانه القدرة على التغير⁽¹⁾.

الرابع عشر نظريات التغير الاجتماعي:

1. نظريات التغير الحتمي: وهي تلك النظريات التي تركز في دراستها للتغير الاجتماعي على عامل واحد، ولذلك فإن هذه النظريات توصف بأنها نظريات اختزالية، أي أنها تختزل كل العوامل

1 - يوسف عناد زامل، سوسيولوجيا التغير قراءة مفاهيمية في ماهية التغير واتجاهاته الفكرية، كلية الآداب، جامعة واسط، ص 10.

في عامل واحد، ويمكن هذا المعنى في مفهوم الحتمية (Determinism) فهذا المفهوم يشتق من الكلمة اللاتينية (Determinant) ومعناها يحدد، ولذلك فإن الحتمية تفترض أن الأمور محددة سلفاً، وأن المهمة الملقة على عاتق الباحث هي اكتشاف جملة الشروط المسبقة التي تعين حدوث ظاهرة من الظواهر، وعندما استخدمت الكلمة في الفكرة الاجتماعي، فإنها أصبحت تعني البحث عن السبب الوحيد، الأصل الكامن خلف حدوث كل الظواهر، أو الذي ترتبط به كل المتغيرات كمتغيرات تابعة بالضرورة⁽¹⁾، ومن تلك النظريات:

أ. نظرية الحتمية البيولوجية: تأسست هذه النظرية على فرضية مؤداها أن الناس في العالم ينقسمون إلى أجناس، وجماعات متميزة بيولوجياً، وأن الأجناس تختلف في قدرتها على تطوير الحياة الاجتماعية وتنميتها، وأن نوعية الحياة لدى شعب من الشعوب هي مؤشر على قدراتها البيولوجية-العرقية، وفي ضوء ذلك تبلور الفروق بين الشعوب، كما تفسر التغيرات الاجتماعية التي تظهر لدى هذه الشعوب، سواء التغيرات السلبية أو الإيجابية التي تفسر بظهور أشكال من التفوق الكامن في شعب من الشعوب، وتقوم الحتمية البيولوجية على فرضية سادت في مجتمعات قديمة، وهي تلك الخاصة بتفوق طبقات داخل المجتمع على طبقات أخرى، وارتباط هذا التفوق بالخصائص البيولوجية، وظهرت هذه الفكرة في الحضارة اليونانية التي ظهر فيها الاعتقاد بأن هناك أناساً ولدوا ليحكموا وآخرين كرعية⁽²⁾، ولقد لعب دي جوبيون دوراً في ترويح هذه الفكرة من خلال بحثه عن تفاوت السلالات البشرية الذي ربط فيه بين تفوق شعب على آخر أو انحطاطه. ومن المتغيرات البيولوجية التي يتم التركيز عليها:

1. أثر التفاوت الوراثي على التغير الاجتماعي.
2. أثر التفاوت بين الأفراد في الذكاء والإمكانات الجسمية والنفسية المختلفة (دور الزعامة الكاريزمية).
3. أثر البيئة الصحية العامة على تطور الشعب ونموه الاقتصادي والاجتماعي.
4. أثر الانتخاب الطبيعي والاصطناعي على الأشكال المختلفة لهرم السكان.

1 - حمدي عبدالحمد أحمد مصطفى، موقع اجتماعي شامل، المرجع سابق.

2 - أحمد زايد، واعتماد محمد علام، التغير الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 2000، ص 44-45.

ب. **نظرية الحتمية الجغرافية:** هناك اعتقاد قديم بأن ثمة علاقة بين طبيعة الطقس الذي يعيش فيه الإنسان وبين طابعه الاجتماعي ولقد تأثر المنظرون الاجتماعيون الأوائل بهذا الاعتقاد، وحاولوا من خلاله أن يميزوا أوجه التشابه والاختلاف بين البشر، وكانت النتيجة نظرية شاملة في الحتمية الجغرافية، ومن أشهر علماء هذه النظرية هنتجتون حيث استخدمها لا في تفسير تغير الاختلاف بين البشر فحسب بل في تفسير تغير المجتمعات، فقد ذهب إلى القول بأنه إذا كانت الظروف الجغرافية هي التي تحدد صفات الناس وسلوكهم، فإن هذه الصفات وذلك السلوك لن يتغير إلا إذا تغيرت الظروف الجغرافية⁽¹⁾.

أوجه النقد الموجه للنظريات الحتمية:

1. أنها نظريات اختزالية ذات نظرة أحادية.
2. أنها نظريات متحيزة تميل إلى تبرير أفكار بعينها.
3. أنها نظريات غير علمية لأنها تؤكد سبباً واحداً دون تحييص علمي دقيق.
4. أنها قد أدت إلى كثير من الصراعات بين الشعوب.
5. أنها ولدت أشكالاً من العنصرية السياسية التي يعاني منها عالمنا المعاصر⁽²⁾.

2. **النظريات التطورية:** ظهرت هذه النظريات في القرن التاسع عشر، وكانت متوازية مع النظريات الحتمية، حيث الاعتقاد السائد أن المجتمعات تسير في مسار واحد محدد سلفاً عبر مراحل يمكن التعرف عليها.

أ. **النظريات الخطية:** توصف بأنها تهتم بالتحويلات التقدمية المستمرة الموصلة في النهاية إلى هدف محدد ويمر المجتمع في حالة تحوله نحو تحقيق هذا الهدف بمراحل أو خطوات ثابتة، وتعتبر هذه الفكرة قديمة ظهرت في فلسفة الإغريق، وأعيد أحيائها في عصر التنوير، وقويت هذه الفكرة في القرن التاسع عشر عندما انشغل المفكرون الاجتماعيون بالبحث عن الأصول الأولى لمجتمعاتهم، وسار الفكر التطوري المبكر في خطين رئيسيين في تحديده لمراحل التطور⁽³⁾:

- التركيز على عنصر واحد من عناصر الحياة الاجتماعية أو الثقافية وتحديد المراحل الزمنية التي سارت فيها المجتمعات وفقاً لهذا العنصر.

1 - تغيير حتمي، الحتمية الجغرافية، متاح على الرابط التالي: <https://ar.wikipedia.org> تاريخ الزيارة 2018/12/10.

2 - دلال ملحس استيتية، التغير الاجتماعي والثقافي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004، ص 121-123.

3 - دلال ملحس استيتية، مرجع سابق، ص 124.

• بدلاً من التركيز على عنصر واحد مال بعض التطورين إلى النظر للتطور الكلي في البناء الاجتماعي أو الثقافي، وتحديد المراحل بشكل كلي دون التركيز على عنصر بعينه، ومن الأمثلة على ذلك نظرية أوجست كونت في تطور المجتمعات ونظرية ماركس في التحول من المجتمع المشاعي إلى الاشتراكي، ونظرية لويس مورجان عن التحول من المجتمع البدائي إلى البربري، إلى الحضارة، ونظرية سبنسر في التحول ذلك التحول الذي يصاحبه تحول من حالة التجانس المطلق إلى حالة اللاتجانس غير المستقر، وسواء ركزت النظرية على متغير واحد أو ركزت على المجتمع ككل، فإن التطورية الخطية تتميز بتحديد مراحل تقدمية تسير نحو هدف محدد، ويمكن الخلاف بين المفكرين التطوريين في عنصرين أساسيين: الأول يرتبط بعدد مراحل التطور، والثاني يرتبط بطبيعة العامل المحرك للتغير⁽¹⁾، وعند هنري مورجان في كتابه (المجتمع القديم) يفترض أن مراحل التطور التكنولوجي ونظم القرابة ترتبط بمختلف المؤسسات الاجتماعية والسياسية⁽²⁾.

ولقد وصف تقدم النوع الإنساني من خلال ثلاث مراحل رئيسية للتطور:

المرحلة البدائية والبربرية ومرحلة المدنية، كما قسم كلاً من المرحلتين البدائية والبربرية إلى ثلاثة أقسام عليا ووسطى ودنيا:

- المرحلة الدنيا من المرحلة البدائية وهي تبدأ منذ نشأة الجذور الإنسانية وحتى بداية الفترة التالية.
- المرحلة الوسطى من البدائية وهي تبدأ من مرحلة صيد الأسماك للحصول على الغذاء ومعرفة استخدام النار.
- المرحلة العليا من البدائية وتبدأ من اختراع السهم والقوس وحتى المرحلة التالية.
- المرحلة الدنيا من البربرية وهي تبدأ من ابتكار صناعة الفخار إلى الفترة التالية.
- المرحلة الوسطى من البربرية وهي تبدأ منذ استئناس الحيوانات في نصف الكرة الشرقي، وفي الغرب منذ زراعة الذرة والنباتات بواسطة الري إلى المرحلة التالية.
- المرحلة العليا من البربرية وتبدأ منذ ابتكار عملية صهر الحديد الخام مع استخدام أدوات جديدة إلى المرحلة التالية.

1 - تغيير حتمي، الحتمية الجغرافية، مرجع سابق.

2 - المرجع السابق.

• مرحلة المدنية وهي تبدأ منذ اختراع الحروف الأبجدية المنطوقة واستخدام الكتابة حتى وقتنا الحاضر.

ب - النظريات الدائرية: يذهب أصحاب هذه النظريات إلى أن التغير صعوداً وهبوطاً في تموجات على شكل أنصاف دوائر متتابة وبنظام مطرد، بحيث يعود المجتمع من حيث بدأ في دورة معينة، وتنقسم النظريات الدائرية إلى نوعين: بعضها يفسر جانباً محدوداً من جوانب الحياة الاجتماعية أو يشرح ظاهرة أو نظاماً اجتماعياً واحداً، وبعضها الآخر يهدف إلى تفسير المجرى العام للتاريخ، متناولاً جميع الظواهر والنظم والأنساق الاجتماعية دون أن يركز على ظاهرة واحدة أو نظام بذاته، ومن أصحاب النظريات الدائرية: ابن خلدون، وفيكو، وشبنجلر، وتويني.

يرى العلامة العربي ابن خلدون أن المجتمع الإنساني كالفرد يمر بمراحل منذ ولادته حتى وفاته، وأن للدول أعماراً كالأشخاص، وعمر الدولة في العادة ثلاثة أجيال، والجيل أربعون سنة، فعمر الدولة إذن مائة وعشرون سنة، وفي هذه الأجيال الثلاثة يمر المجتمع بمراحل ثلاث هي:

- مرحلة النشأة والتكوين: وهي مرحلة البداوة.
- مرحلة النضج والاكتمال: وهي مرحلة الملك.
- مرحلة الهرم والشيخوخة: وهي مرحلة الترف والنعم⁽¹⁾.

ج. نظرية المفكر الإيطالي فيكو الدائرية لتطور المجتمعات:

- المرحلة الدينية أو الإلهية: وفيها يرجع الناس كل شيء إلى الآلهة.
 - المرحلة البطولية: وفيها يرجعون كل شيء إلى العظماء والأبطال.
 - المرحلة الإنسانية: وفيها أصبح الجماهير هي المحرك الحقيقي لكل شيء⁽²⁾.
- ويؤدي منطق نظريته إلى أن الإنسانية لا تستقر ولكنها تسير سيراً دائرياً، فعندما تستقر فترة معينة في المرحلة الأخيرة فإنها سرعان ما تعود القهقري إلى المرحلة الأولى ولكن بشكل مغاير وبصورة أكثر رقياً، أي أن آخر طور من هذه الأطوار إنما يمهد للطور الأول ولكن بشكل أرقى، ولذلك أطلق على نظريته قانون النكوص.

1 - دلال ملحس استيتية، مرجع سابق، ص 127-131.

2 - عبدالباسط محمد حسن، التنمية الاجتماعية، مكتبة وهبة، القاهرة، 1982، ص 521.

ويمثل فيلسوف التاريخ المعاصر أرنولد توينبي أفضل معرفة لتلك النظريات الدائرية، ويتضح ذلك بصورة جلية في كتابه الشهير (دراسة التاريخ) الذي حاول فيه البحث عن الأسباب العامة لارتقاء وانحدار الحضارات، ويؤكد أن فكرة التحدي والاستجابة تمثل سبب نقل القوى فيرى أن الاستجابات الناجمة للتحديات تنتج عنها عناصر النمو.

إن توينبي حصر نطاق التغير في ثلاث أحوال أساسية الأولى هي: حالة التوازن أو التكافؤ، والثانية هي: حالة الانتقال إلى حالة اللا توازن، ثم أخيراً حل الأزمة أو المشكلة أي الانتقال إلى حالة جديدة.

د. نظرية نهاية التاريخ: قدمها فرنسيس فوكوياما عام 1989م بعد سقوط الاشتراكية وتأسيس هذه النظرية على آراء هيجل التطورية التي تنظر إلى التطور على أنه انطلاق نحو الكمال، العقل الكامل، والدولة الكاملة، والقيم المطلقة، واعتمد فوكوياما على فكرة هيجل حول الرغبة في الاعتراف والتقدير والتي اعتبرها هيجل فكرة محركاً للتاريخ، وينظر فوكوياما إلى الديمقراطية الليبرالية المعاصرة على أنها ألغت فكرة العلاقة بين السادة والعبيد⁽¹⁾.

لقد كانت كل النظم تنشغل بالبحث عن الاعتراف، الذي يمثل في صورته الملموسة في النزاع بين شخصين متحاربين، إن هذه الرغبة في الاعتراف هي التي تجعل أياً منهما يموت استسلاماً للآخر. أما الليبرالية الديمقراطية فقد بدلت الرغبة غير العقلانية في الاعتراف بالدولة أو الفرد، وأحلت محلها رغبة عقلانية في الاعتراف بالدولة أو الفرد، على أساس من المساواة، ويعني ذلك أن الليبرالية الديمقراطية قد حلت معضلة الصراع التاريخي من خلال قيمة المساواة، وهي بذلك تكون قد أوقفت التاريخ عن الحركة، فهي إذن نهاية التاريخ وسوف تتطور نفس المجتمعات لتصل إلى نفس هذه النهاية، وليس ثمة مجال آخر للتطور بعد الديمقراطية الليبرالية التي تحقق للفرد ذاته وكماله وتخلق إطاراً من المساواة، تختفي فيه السيطرة الامبريالية⁽²⁾.

3. النظريات المادية التاريخية: إذا كانت النظرية الوظيفية تركز على التغير التدريجي التوازني، فإن المادية التاريخية تركز على التغيرات الثورية التي تنقل المجتمع من حالة إلى حالة مناقضة، وإذا كانت الوظيفية تركز على التكامل والاتفاق، فإن المادية التاريخية تركز على الصراع والتناقض،

1 - فوكوياما، نهاية التاريخ، ترجمة حسن أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1993، ص 16.

2 - المرجع السابق، ص 16.

فالصراع هو المحرك الأساسي للمجتمع، وتاريخ المجتمعات هو في التحليل الأخير تاريخ الصراع بين الطبقات.

أ. النظرية الماركسية: تنظر الماركسية إلى الحياة الاجتماعية على أنها دائرة الحركة، وتمثل حركتها شكلاً خاصاً من أشكال حركة المادة، أنها تحتوي في داخلها على دوافع التغير، إن الماركسية هي نظرية للتغير الاجتماعي وأن مفهوم التغير يعد مفهوماً محورياً فيها، ويتأسس المجتمع على أساس اقتصادي ينحصر في علاقات الإنتاج وأنماط الإنتاج السائدة في المرحلة التاريخية، أي أن الاقتصاد هو الركيزة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع، وذلك فإنه يشكل كل عناصر البناء الاجتماعي الأخرى والتي أطلق عليها ماركس عناصر البناء الفوقي والدولة والأسرة والثقافة⁽¹⁾. لقد ميز ماركس في تاريخ المجتمعات بين خمس مراحل تبدأ بالمرحلة البدائية أو المشاعية البدائي، ومرحلة الإنتاج الآسيوي، والمرحلة الإقطاعية، والمرحلة الرأسمالية، ثم المرحلة الشيوعية، وتتميز كل مرحلة بوجود نمط إنتاجي معين، ووجود طبقتين متعارضتين (فيما عدا المرحلة البدائية والمرحلة الشيوعية حيث يفترض ماركس خلوهما من الطبقات والملكية الخاصة)، وينظر ماركس إلى الصراع الطبقي على أنه حالة طبيعية في المجتمعات، بل إنه المحرك الأساسي للتاريخ، فإذا كان التناقض الاجتماعي بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج هو الذي يحرك البناء نحو التغير، فإن الصراع الطبقي ينجز هذه المهمة، فالمجتمعات لا تتغير إلا بوعي أفرادها، ولذلك فإن مهمة التغير من المرحلة إلى أخرى تقع دائماً على كاهل طبقة معينة، فالطبقة البرجوازية هي التي قادت التغير من الإقطاعي إلى الرأسمالي، ويفترض ماركس أن الطبقة العاملة هي التي ستقود التحول إلى عالم الشيوعية⁽²⁾.

ب. نظرية التنمية التابعة: ترتبط هذه النظرية بتوصيف التغير الاجتماعي في دول العالم الثالث، وهي تختلف عن النظرية الوظيفية، فإذا كانت نظرية التحديث الوظيفية ترى أن التحول إلى دول العالم الثالث يسير بشكل منتظم نحو تحقيق النموذج المثالي للمجتمعات الغربية، فإن أنصار نظرية النسق الرأسمالي العالمي يرون أن حركة التغير في مجتمعات العالم الثالث تسير نحو مزيد من التخلف، وأنه إذا تحققت فيها جوانب التنمية فإنها تظل تنمية تابعة غير مستقلة.

1 - محمد الزعي، التغير الاجتماعي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص 1982.

2 - دلال ملحق استيتية، مرجع سابق، ص 146.

إن البناء الاجتماعي في دول العالم الثالث هو بناء متخلف تابع محكوم بنمط معين لتقسيم العمل الدولي، وقد اكتسب هذا البناء المتخلف خصائصه من خلال العلاقات التاريخية التي دخل فيها مع الرأسمالية العالمية، ولم تؤد هذه العلاقات إلى تحويل الأبنية التقليدية في الدول الفقيرة إلى أبنية حديثة، وإنما أخضعها لخدمة مصالحها، وحوّلها إلى أبنية تابعة مختلفة، ولقد نتج التخلف هنا من خلال امتصاص الفائض من هذه المجتمعات ونقله إلى مراكز النظام الرأسمالي العالمي. والنتيجة المنطقية لهذه العلاقات أن ينتج في دول العالم الثالث نمط خاص من التغير يصفه البعض بأنه تغير تابع أو تنمية تابعة أو تنمية رثة⁽¹⁾.

4. النظريات البنائية الوظيفية: يشير مفهوم البناء إلى العلاقات المستمرة الثابتة بين الوحدات الاجتماعية، بينما يشير مفهوم الوظيفة إلى النتائج أو الآثار المترتبة على النشاط الاجتماعي. فالبناء يكشف عن الجوانب الهيكلية الثابتة، بينما تشير الوظيفة إلى الجوانب الدينامية داخل البناء الاجتماعي⁽²⁾.

أ. الوظيفية الكلاسيكية: وهي أعمال هربرت سبنسر وإيميل دوركايم وماكس فيبر وباريتو، فالتغير الاجتماعي يظهر في شكل إضافات في الحجم وتباين في المكونات يصاحبه دائماً عمليات للتكامل والتوازن، وذلك على النحو التالي:

• يتغير المجتمع من وجهة نظر هربرت سبنسر في ضوء نفس القوانين التي يتحول بها عالم المادة التي تتحول من حالة اللاتجانس إلى حالة من التجانس ولقد اعتقد سبنسر أن القاعدة يمكن أن تنطبق على تطور الكون، والأرض، والكائنات البيولوجية، والعقل البشري، والمجتمع البشري، فالعالم اللا عضوي (عالم المادة) والعالم العضوي (عالم الكائنات الحية) والعالم فوق العضوي (عالم المجتمع) جميعها تخضع لنفس قوانين الحركة والتطور، وفي ضوء هذه الفرضية، نظر سبنسر إلى المجتمع على أنه كيان كلي يتكون من وحدات متميزة تنتظم وفقاً لترتيبات معينة في مكان محدد، ويشبه المجتمع في تكوينه الكائن العضوي، ولذلك فإنه عندما يتغير يخضع لنفس منطق تطور الكائنات العضوية، فالمجتمع ينمو في حجمه وهو عندما ينمو تباين مكوناته وتصبح غير متشابهة وهنا يظهر ضرب من التباين البنائي، ولكن هذا التباين لا يفقد المجتمع تكامله فهو يطور دائماً أشكالاً جديدة لتكامل

1 - المرجع السابق، ص 146-148 .

2 - المرجع السابق، ص 137 .

أجزائه المتباينة، وهكذا فإن المجتمعات تبدأ بسيطة، وتتحول بالتدريج إلى مجتمعات مركبة، إلى أن يظهر المجتمع الصناعي الذي يتميز بتباينه وعدم تجانسه الشديدين، وإذا كان المجتمع البسيط (والذي أطلق عليه سبنسر المجتمع العسكري) يؤسس تكامله على القهر والتعاون الإجباري، فإن المجتمع الصناعي يؤسس تكامله على التعاون الاختياري.

• قدم إيميل دوركايم نظرية في التغير الاجتماعي تشبه إلى حد كبير نظرية هربرت سبنسر، دون التزام بالمماثلة العضوية أو تشبيه التغير في المجتمع بالتغيرات في عالم المادة أو عالم الكائنات الحية، وانطلق في رؤيته للتغير من منظور وظيفي يتأسس على فكري التباين والتضامن، ويتضح ذلك من العلاقة التي أقامها بين مفهوم تقسيم العمل ومفهوم التضامن الاجتماعي.

فتقسيم العمل تصاحبه ضرورة مختلفة من التباين الاجتماعي تتمثل في زيادة السكان وزيادة الكثافة الأخلاقية، بل إن هذه التباينات الاجتماعية هي التي تجعل العمل ضرورة، وهو في جوهره تعبير عن هذا التباين ودالة على حدوثه، فالمجتمعات تميل في تغيرها إلى أن تتباين في مكوناتها، بل إن حدوث أشكال من التباين يؤدي إلى زيادة الكثافة الأخلاقية (تنوع القيم والاتجاهات والميول والمعتقدات) وهذه بدورها تؤدي إلى تقسيم العمل، وهكذا.

غير أن المجتمعات لا تتحول دون ضوابط، فتحولها منضبط بقواعد ومعايير قانونية، وهنا يأتي مفهوم التضامن، فإذا كانت المجتمعات البسيطة (وهي مجتمعات غير متباينة) فهي مجتمعات تحقق تضامنها وتكاملها من خلال القانون القهري (فرض أسلوب واحد في الحياة والتفكير والسلوك) فإن المجتمعات الحديثة (وهي مجتمعات متباينة) تحقق تكاملها وتضامنها من خلال القانون المدني أو التعويضي (الذي يتيح إمكانية تعدد أساليب السلوك وتباينها) ولقد أطلق دوركايم على النوع الأول المجتمعات مجتمعات التضامن الآلي وعلى النوع الثاني مجتمعات التضامن العضوي

ب. نظرية التوازن الدينامي: تطورت الوظيفية في القرن العشرين لتركز على فكرة التوازن الدينامي في عملية التغير الاجتماعي، ويعد عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز أشهر من طور الأفكار الوظيفية في هذا الاتجاه والمجتمع عنده هو أحد الأنساق الأساسية للفعل التي حددها في أربعة أنساق: النسق العضوي، ونسق الشخصية، والمجتمع، والثقافة، والمجتمع بدوره ينقسم من الداخل إلى أربعة أنساق فرعية هي: الاقتصاد والسياسة، والروابط المجتمعية، ونظم التنشئة الاجتماعية، والمجتمع كنسق يعيش في حالة توازن (الكائن العضوي - الشخصية - الثقافة) وهو

يتوازن من الداخل حيث يحقق انساق علاقات منتظمة ومتوازنة، وعندما يتعرض المجتمع لحالة تغير، فإنه لا يفقد خاصية توازنه، فهذا التوازن دينامي ومستمر، لذلك فإنه يمكن للمجتمع دائماً من أن يتكيف مع التغيرات الجديدة ويدمجها داخل بنائه، ويمكن أن نميز نوعين من التغير الاجتماعي⁽¹⁾:

• **التغيرات قصيرة المدى:** وهي التي تظهر داخل المجتمع نتيجة عوامل داخلية (كالاختراعات والأفكار الجديدة) أو عوامل خارجية (كتغير الصفات الوراثية للسكان، وتغير أساليب استغلال الطبيعة أو الحروب) إن هذه التغيرات تحدث تأثيراً على حالة التوازن التي ينتظم فيها المجتمع، إنها تكسر التوازن أو تهدده من جراء ما تخلفه من توترات في بناء العلاقات الداخلية بين مكونات النسق الاجتماعي، وإذا استمرت هذه التغيرات فقد تؤدي إلى القضاء على المجتمع أو إلى إحداث تغيرات بنائية عامة فيه (كما يحدث في حالة الثورات)، ولكن هذا لا يحدث إلا في ظروف نادرة، فالمجتمعات لديها قدرة تكيفية داخلية ناتجة من حالة التوازن الدينامي التي يتميز بها المجتمع، وعندما تحدث التوترات والضغط المولدة للتغير داخل المجتمع فإنها تؤثر على حالة التوازن، ولكن المجتمع ما يلبث أن يمتص هذه التوترات والضغط ويستعيد توازنه ويظل محتفظاً بهذه الحالة من التوازن.

- تغيرات تدريجية لا تؤدي إلى انهيار النسق أو تغييره بشكل جذري.
- ترتبط بعمليتين ملازمتين هما التوازن-اللا توازن وتعتبر العملية الأولى دائمة، أما الثانية فعارضة.
- أن جوهر التغير هنا هو التباين البنائي الوظيفي، فزيد من التغير داخل النسق الاجتماعي يعني تباين مكونات وتعدد وظائفه.
- أن الاتفاق العام على القيم وأدوات الضبط الاجتماعي هما اللذان يحفظان للنسق الاجتماعي توازنه الدائم وتغييره الوئيد.

• **التغيرات بعيدة المدى:** وهي تغيرات واسعة النطاق تحدث على فترات متباعدة، ولقد فسر بارسونز هذه التغيرات من خلال مفهوم العموميات التطورية، ويقصد بها التجديد البنائي الذي له قدرة على الاستمرار والبقاء، ويخلق بدوره تجديدات وتطويرات أخرى. إن هذه العموميات التطورية هي التي خلقت كل التحولات بعيدة المدى في تطور المجتمعات، فظهور نسق الشرعية

1 - أحمد زايد، واعتماد محمد علام، مرجع سابق، ص 54-56.

الثقافية وظهور نسق التدرج الاجتماعي قد أدى إلى أن تتحول المجتمعات البدائية إلى مجتمعات وسيطة، كما أن ظهور النقود والأسواق، والبيروقراطية، والقانون والديمقراطية هو الذي أدى إلى تحول المجتمعات الوسيطة إلى مجتمعات حديثة، وعندما تظهر العمومية التطورية، فإنها تخلق تبايناً اجتماعياً واسع النطاق، وتخلق بذلك تحولات بنائية ملموسة ولكن هذا التباين لا بد وأن يقابله عمليات تكامل تضبط هذا التحول وتقوده، إلى أن يصبح التحول الذي خلقتة العمومية التطورية تحولاً عاماً أو طبيعياً أو يصبح تحولاً معممًا.

ت. **نظرية التحديث الوظيفية:** إن الاتصال الثقافي بالحضارة الغربية يؤدي إلى نشر الثقافة الحديثة في شكل دوائر تتسع باستمرار إلى أن تشمل قطاعات المجتمع بأسره فعندما يحدث هذا الاتصال تبدأ الثقافة التقليدية في الخروج من جمودها وتشهد عمليات تباين واسعة النطاق تؤدي إلى تغييرها لكي تقترب من النموذج المثالي القائم في المجتمعات الغربية، ويطلق على هذه العملية عملية التنمية أو التحديث، وهي عملية تتمثل في اكتساب واستيعاب المجتمعات النامية لقيم العمومية والإنجاز والتخصص، وهي القيم التي تأسس عليها الثقافة الحديثة.

إن التغير الاجتماعي المرتبط بعملية التنمية والتحديث ليس تغيراً جذرياً، بل هو تغير تدريجي (خطي وتقدمي) يتم بمقتضاه تحول الأبنية التقليدية إلى أبنية حديثة أي تحولها من أبنية متجانسة، ساكنة، وبسيطة إلى أبنية غير متجانسة ومتحركة ومعقدة، ويفرز التغير أثناء حدوثه بعض المشكلات كالتناقض بين القديم والجديد، وحدوث "هوة ثقافية" بين تغير العناصر المادية وتغير العناصر المعنوية، وتناقض الأدوار، غير كل هذه التوترات والتناقضات تكون طبيعية أثناء عملية الانتقال من التقليد إلى الحداثة، وسوف تختفي بالتدرج مع الاتساع في عملية التغير على اختلاف بين المجتمعات في درجة استيعاب هذه التناقضات والتغلب عليها، فالمجتمعات تختلف فيما بينها في درجة تطويرها لنظم وجماعات وميكانيزمات تساهم في وضع مبادئ التكامل الاجتماعي، وبناء على ذلك فإنها تختلف في درجة القابلية للتكيف الداخلي مع ظروف التغير، وفي درجة صياغة هذا التغير في نظم اجتماعية، وكلما كان المجتمع أكثر قدرة على التكيف الداخلي والمرونة كان أكثر قدرة على التغلب على مشكلات التحول، ومن الواضح أن نظرية التحديث تميل ميلاً وظيفياً

شديداً، فنفترض وجود تغيرات تدريجية ترتبط بعمليات التباين والتكامل، كما نفترض أن خبرة التغير في المجتمعات الغربية يمكن أن تتكرر في المجتمعات النامية⁽¹⁾.

4. النظريات السيكولوجية والسوسيولوجية: تركز هذه النظريات على دور الفرد في التغير الاجتماعي، وعلى دور الأفكار التي يحملها الأفراد في تغير أنماط الحياة ومسارها، وتأسس هذه النظرية على فرضية أن التغير الذي يصيب المجتمع يحدث أساساً في الأفراد، فهم الذين يغيرون وهم الذين يتغيرون، ولهذا فإن هناك مكاناً للعوامل النفسية في حركة التغير الاجتماعي.

أ. الدور التغييري للأفكار: ظهرت أهمية الأفكار في إحداث التغير الاجتماعي من خلال دراسة ماكس فيبر عن الأخلاق البروتستنتية وروح الرأسمالية، يؤكد ماكس فيبر على الدور الذي تلعبه نوعية خاصة من الأفكار في إحداث تغير اجتماعي معين، لقد ظهرت الأنشطة الرأسمالية في أرجاء مختلفة من الأرض وفي أوقات مختلفة عبر الزمن، ولكن أياً منها لم يكن مثل الرأسمالية يعتمد أساساً على المبادئ العلمية، وعلى نظام قانوني إداري متميز، والكفاءة الفنية والفضيلة والمنافسة الحرة والموازنة المستمرة بين التكلفة والعائد، العمل الحر الرشيد الذي يتحدد من خلال فضائل وقيم محددة تتمثل في الاقتصاد في الإنفاق وضبط النفس والابتكار والتجديد، وهذه كلها خصائص نموذجية للرأسمالية الغربية الحديثة التي تختلف في طبيعتها عن الرأسمالية التقليدية.

ب. نظرية الشخصية المحددة: كز أيفرت هاجن على دور المجددين في إحداث التغير الاجتماعي، لقد نظر إلى المجتمعات التقليدية على أنها مجتمعات ساكنة راكدة تعرف نظاماً جامدة للمكانة الاجتماعية (وجود جماهير من الفلاحين وصفوة حاكمة) تحكمها علاقات تسلطية غير مبدعة وغير دافعة للتجديد، وينعكس ذلك على الأفراد الذين يعيشون في هذه المجتمعات، حيث يتصفون بعدم القدرة على التجديد وعدم القدرة على ضبط وتحليل العالم الذي يعيشون فيه ومثل هذا المجتمع يعد مجتمعاً ساكناً وقد لا يعرف التغير لعدة قرون، ويفترض هاجن أن ثمة علاقة قوية بين طبيعة البناء الاجتماعي وبين نمط الشخصية، بحيث يمكن القول أن البناء الاجتماعي لن يتغير إلا إذا تغيرت الشخصية، ومن هنا تبدأ نظرية هاجن في التغير الاجتماعي، فذلك التغير يرتبط بعوامل نفسية، أي يخلق أنماط الشخصية القادرة على التجديد، وتسم مثل هذه الشخصية بالابتكارية والفضول والانفتاح على الخبرة، إن مثل هذه الشخصية تسعى إلى ابتكار حلول جديدة ولا تقبل ما هو قائم

1 - دلال ملحق استيقية، مرجع السابق، 137 - 144.

منها، كما أنها تنظر إلى العالم من حولها على أنه عالم يقوم على نظام معين قابل للفهم، وتكون قادرة على حل المشكلات التي تواجهها في العالم، ويفترض هاجن أن التغير في البناء التقليدي للمجتمعات يبدأ عندما تظهر مجتمعات من الأفراد لها هذه الخصائص تهدد بناء المكانة القائم وتسحب البساط من تحت أقدامه، ومثل هذه الجماعات تظهر بالتدريج، ومن خلال عمليات مستمرة من الانسحاب، ويرتبط ظهورها وتكاثرها بظهور ظروف اجتماعية (ترتبط بالأسرة والتنشئة الاجتماعية)، وهكذا يحدث التغير بشكل تدريجي فينتقل المجتمع من حالة التسلطية، إلى حالة الابتكارية مروراً بعمليات وسيطة ترتبط بتحدي نظم المكانة القائمة والانسحاب منها.

ث. نظرية المجتمع المنجز: اهتم ديفيد ماكلياند مثله مثل هاجن بنوع معين من التغير هو التغير الاقتصادي ومال ميلاً سيكولوجياً في تحليله لعملية التغير في المجتمعات التقليدية، وكانت نقطة الارتكاز عنده هي الدافعية للإنجاز، لقد أكد على أن عملية التنمية الاقتصادية -سواء في المجتمعات القديمة أو الحديثة- تظهر دائماً بناء على ظهور متغير سابق عليها هو الحاجة إلى الإنجاز، ومن ثم فإن المجتمع الذي تظهر فيها هذه الحاجة يكون أقدر على التغير من غيره لأنه يبني القدرات الإبداعية وتخلق فيه دافعية قوية للإنجاز، وبناء على ذلك فقد رفع ماكلياند شعاراً يقول فيه "استثمر في صناعة رجل ولا تستثمر في صناعة طائرة"، ويقصد بالحاجة إلى الإنجاز القدرة على الإنجاز الاقتصادي الفردي الذي ينتج النمو الاقتصادي، ويفترض أن الحاجة إلى الإنجاز تعد المحرك الأساسي لعملية التغير الاجتماعي.

لقد انتقد ماكلياند لإسرافه في إبراز العوامل النفسية ونظرته إلى الدافعية للإنجاز على أنها العامل الوحيد المحرك للنمو الاقتصادي، حيث عدل من نظريته لتركز لا على التنشئة الاجتماعية فقط ولكن على التدريب وتغيير الاتجاهات⁽¹⁾.

خلاصة:

الحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات فبعد الانتهاء من هذه الورقة البحثية المتواضعة والتي تناولت ماهية التغير الاجتماعي والنظريات المفسرة له قد تبين أن التغير الاجتماعي هو سنة من سنن الكون وأن المجتمعات الإنسانية بطبيعتها متغيرة وأن سرعة التغير تعتمد على العملية التنموية لكل مجتمع حسب ظروفه الخاصة التي بموجبها تتم عملية التغير الاجتماعي، والذي يعني التحول أو

التعديل الذي يتم في طبيعة ومضمون وتركيب الجماعات والنظام وكذا في العلاقات بين الأفراد والجماعات وكذا تلك التغيرات التي تحدث في المؤسسات أو التنظيمات أو في الأدوار الاجتماعية، وإن تغير المجتمعات ضرورة حتمية إذا انعكس ذلك على تقدمها وتطورها وسعادة شعوبها ولا سيما إذا كانت هذه التغيرات الاجتماعية والاقتصادية تتجه نحو التنمية الاجتماعية الشاملة، وهكذا يؤدي التغير إلى الانتقال من مرحلة إلى أخرى يتناها الفرد والمجتمع، وهنا يجدر القول أن التغير الإيجابي يحدث وفق قوانين تطورية تضمن أن هذا التغير أو التبدل ينقل المجتمع من حال إلى حال أفضل.

قائمة المراجع

أولاً: الكتب العربية.

1. إبراهيم العسل، الأسس النظرية والأساليب التطبيقية في علم الاجتماع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1997.
2. أحمد النكلاوي، التغير والبناء الاجتماعي، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة 1968.
3. أحمد زايد، واعتماد محمد علام، التغير الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 2000.
4. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، بيروت 1982.
5. تالكوت بارسونز، إعداد أميتاي اتزيوني، ترجمة محمد أحمد حنونة، النظريات الوظيفية للتغير" ضمن التغير الاجتماعي، مصادره، نماذجه ونتائجه، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1984.
6. الحبيب معمري، التغير الاجتماعي ورهانات العولمة، منشورات دار ما بعد الحداثة، فاس، ج1، 2010.
7. حسن سعفان، اتجاهات التنمية في العالم العربي، مطبعة التقدم، الجزائر، 1983.
8. حنان محمد عبدالمجيد، التغير الاجتماعي في الفكر الإسلامي، المعهد العالي للفكر الإسلامي، 2011.
9. دلال ملحق استيتية، التغير الاجتماعي والثقافي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004.

10. ذهبية وموسى، المسنين في مركز العجزة، دراسة ميدانية في كل من مركز دالي إبراهيم وديار الرحمة ببئر خادم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البليدة، 2003.
11. سعيد فالح الغامدي، البناء القبلي والتحضر في المملكة العربية السعودية، جدة: دار الشروق، 1981.
12. السيد عبد العاطي السيد، المجتمع والثقافة والشخصية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ب.ت.
13. صلاح البيومي، التنشئة والشخصية للطفل بين الواقع والمستقبل، دار المعارف، الإسكندرية، ب.ت.
14. عبد الهادي الجوهري وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية، المكتب الجامعي، الإسكندرية، 1999.
15. عبدالباسط محمد حسن، التنمية الاجتماعية، مكتبة وهبة، القاهرة، 1982.
16. عبدالرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1983.
17. عبدالله الرشدان، علم اجتماع التربية، دار الشروق، عمان، 1999.
18. فوكوياما، نهاية التاريخ، ترجمة حسن أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1993.
19. قباري محمد إسماعيل، علم الاجتماع الإنمائي، الهيئة المصرية العامة للتأليف، الإسكندرية، 1971.
20. قيس النوري، أفاق التغير الاجتماعي النظرية والتنموية، مطابع التعليم العالي، بغداد، 1990.
21. كارل ماركس، إعداد أميتاي اتزيوني، ترجمة محمد أحمد حنونة، موجز في المادية التاريخية ضمن التغير الاجتماعي مصادره، نماذجه ونتائجه. منشورات وزارة الثقافة، دمشق.
22. محمد الدقس، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 1987.
23. محمد الزعبي، التغير الاجتماعي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
24. محمد عاطف غيث، التغير الاجتماعي والتخطيط، دار المعارف ط2 القاهرة، 1966.

25. محمد علي محمد وآخرون، دراسات في التغير الاجتماعي، دار الكتب الجامعية الإسكندرية، 1974.

26. محمد عمر الطنوبي، التغير الاجتماعي، منشأة المعارف بالإسكندرية، الإسكندرية 1996.

27. المختار الهراس، الوظيفة والمجتمع، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1995.

28. مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، الدار القومية للطباعة، القاهرة.

29. مصطفى عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، 2002.

30. معن خليل العمر، التغير الاجتماعي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2004.

31. هريوت سبنسر، إعداد أميتاي اتزيوني. ترجمة محمد أحمد حنونة، نمو المجتمعات ضمن التغير الاجتماعي مصادره، نماذجه ونتائجه، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1984.

32. يوسف عناد زامل، سوسيولوجيا التغير في ماهية التغير واتجاهاته الفكرية، كلية الآداب، جامعة واسط.

33. يوسف عناد زامل، سوسيولوجيا التغير قراءة مفاهيمية في ماهية التغير واتجاهاته الفكرية، كلية الآداب، جامعة واسط.

ثانياً: الكتب الأجنبية:

34. Mitchell G. Duncan: A dictionary of sociology, Lontdlege & Kegan paul. London 1968.

35. Robert A.Nisbet, Social change and history, oxford university press, London, 1969.

36. Robert Redfield (1947). « The Folk society ». In: The American journal of sociology. V 52. N° 4. (Jan 1947). Published by The university of Chicago press. p 293. Accessed: 08/08/2013 19:15. Stable URL:<http://www.jstor.org/stable/2771457>

ثالثاً: شبكة المعلومات (الانترنت).

37. تغيير حتمي، الحتمية الجغرافية، متاح على الرابط التالي: <https://ar.wikipedia.org> :

38. شائم بن لافي الهمزاني، التغير الاجتماعي، منطقة حائل، دراسة علمية غير منشورة،

1990، متاح على الرابط التالي: <https://www.marefa.org>

39. بوعطيط سفيان، التغير الاجتماعي في الجزائر وتأثيراته على القيم، متاح على الرابط التالي

<https://sites.google.com/site/socioalger>:

40. لطيفة طبال، التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم، متاح على الرابط

<http://www.moqatel.com> :

41. حمدي عبد الحميد أحمد مصطفى، موقع اجتماعي شامل، آليات التغير الاجتماعي، متاح

على الرابط التالي: <http://hamdisocio.blogspot.com>

حمدي عبد الحميد أحمد مصطفى، موقع اجتماعي شامل، آليات التغير الاجتماعي، متاح

على الرابط التالي : متاح على الرابط التالي: <http://hamdisocio.blogspot.com>

42. منتديات الوزير، التطور الاجتماعي، متاح على الرابط التالي:

<http://vb1.alwazer.com/t71423.html>

43. مباركة أبو القاسم الذئب، النمو الاجتماعي، متاح على الرابط التالي:

<http://www.balagh.co/pages/tex.php?tid=5798>

44. جميلة بوحيرد، متاح على الرابط التالي، <https://www.marefa.org>

